

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

سِيْرَةَ النَّبِيِّ

[العَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ:

إِسْلَامُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فَقَدْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا لِئَلَّا يُفَاجِئَ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا يُهَيِّجُهُمْ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَعْزِضُ الْإِسْلَامَ عَلَى الْأَصْقِ النَّاسِ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَيَعْزِضُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِ خَيْرًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُمْ بِحُبِّ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَيَعْرِفُونَهُ بِالصِّدْقِ وَالصَّلَاحِ.

- كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ النِّسَاءِ - بَلْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ -

زَوْجُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَدِيجَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ أَسْلَمَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ

يَتَقَدَّمَهَا رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ».

وَكَانَتْ وَزِيرَةَ صَدَقٍ لِلنَّبِيِّ، وَمُسْرِيَةً عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ قَوْمِهِ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا

يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيَحْزِنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا

تُسَبِّحُهُ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ، وَتُصَدِّقُهُ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَصِلُ إِلَى

شِعَافِ قَلْبِهِ بِعَطْفِهَا، وَحُبِّهَا، وَتُرِيْلُ عَنْهُ آثَارَ الْأَذَى بِيَدَيْهَا، وَتَمْسَحُ مَا عَسَى أَنْ

يَكُونَ عَلِقَ بِنَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِحَدِيثِهَا الْمُؤْمِنِ الْعَذْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



قَالَ الْحَافِظُ فِي «الإصابة»: «خَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ
صَدَّقَتْ بِعَيْثِهِ مُطْلَقًا».

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَأَمَنْتَ بِهِ خَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ
مِنَ اللَّهِ، وَوَأَزَرْتُهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ
بِهِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا
يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا
تَثْبِتَهُ، وَتَخَفَّفَ عَلَيْهِ، وَتَصَدَّقَهُ، وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ ﷺ».



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ثُمَّ أَسْلَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يُبْلَغِ الْحُلْمَ حِينَ أَسْلَمَ، كَانَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَلَمْ يَعْبُدِ الْأَوْثَانَ قَطُّ لِصِغَرِهِ، وَكَانَ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: «كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ؛ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ، وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ - أَي: أَعْنَى - بَنِي هَاشِمٍ: «يَا أَبَا الْفَضْلِ، إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ نُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ؛ أَخِذْ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذْ أَنْتَ رَجُلًا فَكَفْلُهُمَا عَنْهُ».

فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ، فَاذْهَبْ حَتَّى آتِيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى تَتَكَشَّفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ.

فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعْفَرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ

عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ،
وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعْفَرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى
أَسْلَمَ، وَاسْتَعْنَى عَنْهُ».



إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه

ثم أسلم مولاة زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه، وهو أول من أسلم من الموالي، يُقال له «حب النبي» رضي الله عنه، وهو الذي أثار رسول الله ﷺ على والده وأهله.

وسبب وجوده عند النبي ﷺ: ما رواه الترمذي في «جامعه» وحسنه، وابن إسحاق في «السيرة»: أن حكيم بن حزام قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، فدخلت عليه خديجة بنت خويلد، فقال لها: اختاري أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاخترت زيدا فأخذته، فلما رآه النبي ﷺ أعجبه، فاستوهبه منها فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه، فكان يدعى «زيد بن محمد»، وذلك قبل أن يوحي إليه، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده، وقال فيه:

بكيْتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعل
أحيي فيرجي أم أني دونه الأجل
فوالله ما أدري وإنني لسائل
أعالك بعدي السهل أم غالك الجبل
ويأيت شعري هل لك الدهر أوبة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرُبَهَا أَفْلٌ
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ
فَيَا طُولَ مَا حَزُنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلُ
سَاعَمَلُ نَصِ الْعَيْشِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا
وَلَا أَسَاءُ التَّطَوَّافِ أَوْ تَسَاءُ الْإِبِلِ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
فَكُلُّ امْرِئٍ فَاِنٍ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلُ

فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ بِمَكَّةَ قَدِمَهَا لِيَفْدِيَهُ، فَدَخَلَ حَارِثَةَ وَأَخُوهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا:
يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا ابْنَ هَاشِمٍ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ
وَجِيرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ، تَكُونُ الْعَانِي، وَتُطْعَمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ،
فَامْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرَفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُوَ؟» قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ زَيْدًا، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي، وَإِنْ شِئْتَ فَاَنْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ»،
فَقَالَ زَيْدٌ: بَلْ أَقِيمْ عِنْدَكَ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مَنِّي بِمَكَانِ
الْأَبِ وَالْأُمِّ.

فَقَالَا: وَيَحَكَ يَا زَيْدُ!! أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَعَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ
وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي
أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا.

فَلَمْ يَزَلْ زَيْدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَصَدَّقَهُ، وَأَسْلَمَ،
وَصَلَّى مَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، قَالَ: أَنَا زَيْدُ بْنُ
حَارِثَةَ.



جامع منهلج النبوة

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ

كَذَلِكَ سَارَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ فِي تَمَسُّكِهِنَّ قَبْلَ
الْبُعْثَةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُنَّ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَحُسْنِ السَّيْرَةِ، وَالتَّنَزُّهِ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ
أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ، وَفِي اقْتِدَائِهِنَّ بِأُمَّهِنَّ فِي
الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْإِيمَانِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَأَمَّا بَنَاتُهُ ﷺ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ
مَعَهُ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ».

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُلُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا قَبْلَ ذَلِكَ هُمْ
مَنْ دَاخَلَ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ؛ زَوْجُهُ، وَبَنَاتُهُ، وَرَبِيبُهُ عَلِيُّ، وَمَوْلَاهُ زَيْدٌ.



جامع من هج النبوة

إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ الْأَحْرَارِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ
ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الرَّرَسُولِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ تَقْرِيًّا، وَكَانَ
يَعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ، وَأَمَانَتِهِ، وَحُسْنِ سَجِيَّتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْكُذْبِ
عَلَى الْخَلْقِ؛ وَلِهَذَا مَا إِذْ ذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ حَتَّىٰ بَادَرَ إِلَىٰ
تَصَدِيقِهِ وَلَمْ يَتَلَعَّمْ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْهُ: «مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كِبُوءَةٌ -
وَهِيَ الْوَقْفَةُ، كَوَقْفَةِ الْعَاثِرِ، أَوْ الْوَقْفَةُ عِنْدَ الشَّيْءِ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ-، وَنَظْرٌ،
وَتَرَدُّدٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، مَا عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ لَهُ، وَمَا
تَرَدَّدَ فِيهِ».

عَكَمَ أَي: تَلَبَّثَ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ»، وَكَذَا
فِي «التَّفْسِيرِ» مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ.

* مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه:

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١- مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عِنْدَمَا بُويعَ بِالْخِلَافَةِ: أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

٢- وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الْبَغَوِيِّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» وَسَنَدُهُ حَسَنٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَنْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟، فَقَالَ رضي الله عنه: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ رضي الله عنه:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التَّالِيِ الثَّانِيِ الْمُحْمُودِ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلِ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
وَالثَّانِيِ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا
وَكَانَ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنْ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعِدْ بِه رَجُلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَرَأْفَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا.

٣- قَالَ الشَّهْلِيُّ رضي الله عنه: «وَفِي مَدْحِ حَسَّانِ الَّذِي قَالَ فِيهِ، وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وآله وسلم، وَلَمْ يُنْكِرْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ».

٤- وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟» مَرَّتَيْنِ.

٥- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مَوْلُفًا لِقَوْمِهِ، مُحِبًّا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ - يُقَالُ: رَجُلٌ نَسَابَةٌ: إِذَا كَانَ بَلِيغَ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ -، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا إِذَا خُلِقَ وَمَعْرُوفًا.

وَكَانَ رِجَالٌ قَوْمَهُ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِعَيْرٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرِ؛ لِعِلْمِهِ، وَتِجَارَتِهِ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ».

وَلَمْ يَكْتَفِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِّيقِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، بَلْ قَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا، كَانَ لَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي إِسْلَامِ كَثِيرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِبْرَائِهَا، فَأَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِ ﷺ:

* عُمَانُ بْنُ عَفَانَ.

وَعُمَانُ وُلِدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتِيهِ رُقِيَّةَ، وَأُمَّ كُلْثُومَ رضي الله عنها، فَلِذَلِكَ كَانَ يُلَقَّبُ «ذَا النُّورَيْنِ»، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

لثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ،
وَدُفِنَ لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَشْهُرٍ
عَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ.

فَأَسْلَمَ عُثْمَانُ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وَأَيْضًا أَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِ:

* الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ.

وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، هُوَ حَوَارِيٌّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً عَلَى
الْمَشْهُورِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ - يَعْنِي: حِينَ أَسْلَمَ -، وَهُوَ أَحَدُ
الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْحِجَّةِ، قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ،
وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقِيلَ أَرْبَعٌ أَوْ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ
جُرْمُوزٍ - قَبَحَهُ اللَّهُ -.

وَمِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

* عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ
إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَمَنَاقِبَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كَثِيرَةً، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَيْعِ.

وَمِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ:

* سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

هُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، أَبُو إِسْحَاقَ، أَسْلَمَ قَدِيمًا سَابِعَ سَبْعَةٍ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ مَشْهُورًا بِذَلِكَ، تُوفِّيَ ﷺ بِقَصْرِهِ بِالْعَقِيقِ قُرْبَ الْمَدِينَةِ، فَحُمِلَ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سِتٌّ، أَوْ قِيلَ: سَبْعٌ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَفَاةً.

فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ وَأَيْضًا أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ:

* طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ.

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَصْحَابِ الشُّرَى الَّذِينَ نَصَّ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، بِقَوْلِهِ: «وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ».

قُتِلَ ﷺ يَوْمَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ اسْتَكْمَلَ مِنَ الْعُمُرِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً ﷺ.

فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ الرَّعِيلَ الْأَوَّلَ وَطَلِيعَةَ الْإِسْلَامِ، فَجَاءَ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَسْلَمُوا وَأَضْبَحُوا مِنْ جُنُودِ الْإِسْلَامِ الْمُخْلِصِينَ لِدَعْوَتِهِ.

وَلَمَّا أَسْلَمَ الصِّدِّيقُ وَطَلْحَةُ أَخَذَهُمَا نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ - وَكَانَ يُدْعَى أَسَدَ قُرَيْشٍ - فَشَدَّهُمَا فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَيْمٍ، فَلِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِأَبِي بَكْرٍ وَطَلْحَةَ «الْقَرِينَانِ»؛ لِأَنَّهُمَا قَدْ شَدَّا فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ مُقْتَرِنِينَ.

هُؤُلَاءِ هُمُ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ تَلَاهُمْ جَمْعٌ آخَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ وَهُمْ:

جامع من هج النبوة

الرَّعِيلُ الثَّانِي

* أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ:

وَهُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوفِّيَ ﷺ بِطَاعُونَ عَمَوَّاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ﷺ.

* أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ:

وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، يُكْنَى أَبَا سَلَمَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ أَخُو النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّضَاعِيَّةِ وَحَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُمْ ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَأُحَدًّا، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ﷺ.

* الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ:

وَهُوَ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ الَّذِي اسْتَحْفَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِهِ

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ بِمَكَّةَ لَمَّا خَافُوا الْمُشْرِكِينَ، تُوفِّيَ ﷺ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ ﷺ.

* عَثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ:

وَهُوَ عَثْمَانُ بْنُ مَظْعُونِ الْجَمَحِيِّ، مِنْ سَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ، أَسْلَمَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ؛ يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، تُوفِّيَ ﷺ بَعْدَ شُهُودِهِ بَدْرًا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ مِنْهُمْ، وَأَخَوَاهُ: قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ.

* قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ:

قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونِ الْقُرَشِيِّ الْجَمَحِيِّ، خَالَ حَفْصَةَ وَعَبَدَ اللَّهَ ابْنِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحِدًا، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتُوفِّيَ ﷺ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

* عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَظْعُونٍ:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَظْعُونِ الْجَمَحِيِّ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَتُوفِّيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً.

* عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ:

عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى
الإِسْلَامِ، وَشَهِدَ عُبَيْدَةَ بَدْرًا، وَقُتِلَ فِيهَا ﷺ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ.

* سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ:

سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ
لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَكَانَ صِهْرَ عُمَرَ زَوْجِ أُخْتِهِ
فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ، أَسْلَمَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَدِيمًا، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، تُوْفِّي
ﷺ بِالْعَقِيقِ، فَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَقِيلَ: إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَهُوَ
ابْنُ بَضْعٍ وَسَبْعِينَ ﷺ.

* فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ:

امْرَأَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَدَوِيَّةُ، أُخْتُ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ ﷺ، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدٍ، قَبْلَ إِسْلَامِ
أَخِيهَا عُمَرَ ﷺ.

* أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ:

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، زَوْجُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَوَالِدَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ لِأَبِيهَا، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ، وَهِيَ ذَاتُ

النُّطَاقِينَ، بَلَغَتْ ﷺ مِائَةَ سَنَةٍ لَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنَّ، وَلَمْ يُنْكَرْ لَهَا عَقْلٌ، تُوفِّتُ ﷺ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ بِأَيَّامٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»، وَغَيْرُهُ إِسْلَامَ عَائِشَةَ ﷺ، فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِلْبَعْثَةِ، وَهَذَا وَهَمٌّ؛ لِأَنَّ عَائِشَةَ ﷺ لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ، فَكَيْفَ تَكُونُ أَسْلَمَتْ؟ كَانَ مَوْلِدُهَا ﷺ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

* أُمُّ الْفَضْلِ:

وَهِيَ لُبَابَةُ الْكُبْرَى بِنْتُ الْحَارِثِ، لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ، زَوْجَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ، وَخَالَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأُخْتُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ لِأُمِّهَا، تُوفِّتُ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَبْلَ زَوْجِهَا الْعَبَّاسِ.

* حَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ:

حَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، كَانَ حَدَادًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَصَابَهُ سَبْيٌ فَبِيعَ بِمَكَّةَ، كَانَ ﷺ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ عَذَّبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَزَلَ الْكُوفَةَ وَمَاتَ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْكَوفَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً ﷺ.

* عتبة بن غزوان:

وهو عتبة بن غزوان، أسلم سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وهو ابن أربعين سنة، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقره على البصرة، فاستعفى عمر عن ولايتها، فأبى أن يعفيه، فقال رضي الله عنه: اللهم لا تردني إليها، فسقط عن راحلته، فمات سنة سبع عشرة، وهو منصرف من مكة إلى البصرة بموضع يقال له: معدن بني سليم.

* عمير بن أبي وقاص:

عمير بن أبي وقاص القرشي الزهري، أخو سعد، قديم الإسلام، مهاجري، شهد بدرًا مع النبي ﷺ، وقُتل فيها، وذلك في السنة الثانية للهجرة.

* عبد الله بن مسعود:

الإمام الحبر، فقيه الأمة، من السابقين الأولين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، وهو أول من جهر بالقرآن، وأخذ من فم الرسول ﷺ سبعين سورة ما ينازعه فيها أحد، وشهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومنافبه كثيرة، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبيع وعمره ثلاث وستون سنة.

فهؤلاء هم الرعيل الثاني، الذين آمنوا بعد الرعيل الأول وأسلموا لله رب العالمين.

الرَّعِيلُ الثَّالِثُ

ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يَتَسَامَعُونَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَسَارَعَ الْفُقَرَاءُ إِلَى الدُّخُولِ فِي
الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ:

* مَسْعُودُ بْنُ عُبَيْةَ الْقَارِي:

أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْبِسَ
السَّبَايَا وَالْأَمْوَالَ بِالْجِعْرَانَةِ - وَقَدْ تَشَدَّدَ أَيْضًا: بِالْجِعْرَانَةِ -.

* سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو:

سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِمَّنْ هَاجَرَ
الْهَجْرَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْظَلِيِّ مَلِكِ
الْيَمَامَةِ، وَذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ.

- وَأَخُوهُ:

* حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو:

وَأَخُو سَلِيطِ حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ
ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَشَهِدَ
بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

* عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

وَكَذَلِكَ عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، أَخُو أَبِي جَهْلٍ لِأُمِّهِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَدَعَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، فَرَجَعَ مَعَهُمَا، فَأَوْثَقَاهُ وَحَبَسَاهُ بِمَكَّةَ، وَلَمَّا مَنَعَ عِيَّاشُ مِنَ الْهَجْرَةِ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِلْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، وَيُسَمِّي مِنْهُمْ: الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَقَتَلَ عِيَّاشَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ.

- وَأَمْرَاتُهُ:

* أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ:

وَأَمْرَأَةٌ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ، كَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عِيَّاشٍ، ثُمَّ هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدُ.

* حُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ:

حُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مِنْهَا، وَكَانَ زَوْجَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

* عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ:

كَانَ أَحَدَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، تُوْفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَقِيلَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِأَيَّامٍ.

* عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ:

أُمُّهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَحَدٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَ قُتِلَ فِي أَحَدٍ نِيفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

- وَأَخُوهُ:

* أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ:

وَأَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ، يُكْنَى عَبْدُ هَذَا أَبَا أَحْمَدَ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَعْمَى، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوْفِّيَ بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهِ زَيْنَبَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

* جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، كَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُلُقًا وَخَلْقًا، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ،

فَأَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ هَاجَرَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَتَلَقَاهُ الرَّسُولُ ﷺ وَاعْتَقَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَيْشِ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ إِنْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَاسْتَشْهَدَ فِي مُؤْتَةَ، وَكَانَ عُمُرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قُتِلَ إِحْدَى وَارْبَعِينَ سَنَةً.

* فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ:

امْرَأَةٌ حَاطِبِ بْنِ الْحَارِثِ: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ، أُمُّ جَمِيلٍ، كَانَتْ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ هِيَ وَزَوْجُهَا حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ، وَتُوفِّيَ زَوْجُهَا بِالْحَبَشَةِ، وَقَدِمَتْ هِيَ وَابْنَاهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

* حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ:

حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ زَوْجُ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ، هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَوَلَدَتْ لَهُ زَوْجَهُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَالْحَارِثَ، وَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ.

- وَأَخُوهُ:

* حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ:

وَأَخُو حَاطِبِ حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ: هُوَ حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، هَاجَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ حَاطِبِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ فَكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، وَمَاتَ حَطَّابٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كثيرٌ من هذه الأسماء تسمَعُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَهَذَا مِمَّا يُؤَسَفُ لَهُ وَيُؤَسَى عَلَيْهِ، هَؤُلَاءِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ، فَأَوْلَى النَّاسِ بِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُمْ، وَلَكِنْ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرَنَا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَن تَقْصِيرِنَا.

هَؤُلَاءِ مِنَ الرَّعِيلِ الثَّلَاثِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ وَالرَّعِيلِ الثَّانِي، وَهُمْ مُتَلَحِّقُونَ وَمِمَّنْ سَارَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ الْمَأْمُونِ، وَهَاجَرُوا، وَجَاهَدُوا، وَصَبَرُوا، وَاسْتَشْهَدُوا وَمَاتُوا، مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ - كَمَا مَرَّ -، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ مَعَهُ امْرَأَتَهُ مُؤْمِنَةً مُهَاجِرَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَوُلِدَ لَهُ مِنْ بَنِيهِ مَنْ وُلِدَ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ بِالْحَبَشَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ - يَعْنِي: مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ قَبْلَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ هَاجَرَ بَعْدُ إِلَى الْمَدِينَةِ -، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

فَمِنَ الْعَيْبِ أَنْ لَا يَكُونَ أَوْلَيْكَ مِنَ الْمَعْلُومِينَ لَكَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ ﷺ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ لَا يُدَانِيهَا طَبَقَةٌ، فَهَذِهِ هِيَ الذَّرْوَةُ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَفِي التَّقْسِيمِ الْعَامِّ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

- مِنْهُمْ:

* فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ:

امْرَأَةٌ حَطَّابِ بْنِ الْحَارِثِ، فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ: ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: «أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ الْهَجْرَتَيْنِ».

* مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ:

مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، أَخُو حَاطِبٍ وَحَطَّابٍ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* السَّائِبُ بْنُ مَطْعُونٍ:

وَالسَّائِبُ بْنُ مَطْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، أَسْلَمَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعُمُرُهُ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

* الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ:

الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ الْقُرَشِيِّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ، وَبِهَا مَاتَ.

- وَامْرَأَتُهُ:

* رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ:

وَامْرَأَةُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَزْهَرَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفِ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ سَهْمٍ، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ قَدِيمًا، وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا الْمُطَّلِبِ بْنِ أَزْهَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ.

* نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَسْلَمَ ﷺ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُهَاجِرْ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ لِلْهَجْرَةِ عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِنْفَاقِهِ عَلَى أَرَامِلِ قَوْمِهِ، ثُمَّ شَهِدَ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبَّلَهُ، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ شَهِيدًا سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ ﷺ، وَقِيلَ اسْتُشْهِدَ بِأَجْنَادِينَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ.

- وَمِنْهُمْ:

* عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ:

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِلطُّفَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ، فَأَسْلَمَ وَهُوَ مَمْلُوكٌ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مِنَ الطُّفَيْلِ، فَاعْتَنَقَهُ، وَأَسْلَمَ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ النَّبِيُّ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، وَعُذِّبَ فِي اللَّهِ ﷺ، وَشَهِدَ عَامِرٌ غَزْوَةَ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ الْأَرْبَعِينَ ﷺ.

* خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ:

خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ خَالِدِ الْخَزَاعِيَّةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَهُ سَعِيدًا،

وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثَهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَقُتِلَ بِمَرْجِ الصُّفْرَةِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فِي صَدْرِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

* أُمَيْمَةُ بِنْتُ خَلْفٍ:

وَأُمْرَأَتُهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ خَلْفِ الْخُرَاعِيَّةِ، وَهِيَ زَوْجُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، مِنْ السَّابِقَاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ وَوَلَدَتْ لَهُ سَعِيدًا.

- وَكَذَلِكَ مِنْهُمْ:

* أَبُو حُدَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ:

أَبُو حُدَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَاسْمُهُ مِهْشَمٌ، وَقِيلَ: هُشَيْمٌ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعًا، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَقُتِلَ رضي الله عنه يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

* وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَافِ الْيَرْبُوعِيِّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ كَافِرًا فِي الْإِسْلَامِ، قُتِلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، أَوَّلَ مَقْتُولٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ وَاقِدٌ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تُوْفِّي رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَخَالِدٌ وَعَامِرٌ، وَعَاقِلٌ، وَإِيَّاسُ بْنُ الْبَكَيْرِ بْنِ عَبْدِ يَالِيلٍ.

* خَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ:

خَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الرَّجِيعِ فِي صَفْرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ عُمُرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا قُتِلَ - ابْنَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* عَامِرُ بْنُ الْبُكَيْرِ:

مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَشَهِدَ بَدْرًا هُوَ وَإِخْوَتُهُ: إِيَّاسُ، وَعَاقِلُ، وَخَالِدُ، وَقُتِلَ عَامِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

* عَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ:

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ وَإِخْوَتُهُ: خَالِدُ، وَإِيَّاسُ، وَعَامِرُ، وَشَهِدَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ بَدْرًا.

* إِيَّاسُ بْنُ الْبُكَيْرِ:

مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَشَهِدَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ بَدْرًا، وَشَهِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ.

* عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ:

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ الْمَذْحَجِيِّ ثُمَّ الْعَنْسِيِّ، مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَآمَةٌ سُمِّيَتْ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، وَاخْتَلَفَ فِي

هَجْرَةَ عَمَّارٍ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهَدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، قُتِلَ ﷺ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ بِصِفِّينَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَدَفِنَهُ عَلِيٌّ فِي ثِيَابِهِ، وَلَمْ يُغَسَّلْهُ.

* صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ:

صُهَيْبٌ هُوَ ابْنُ سِنَانِ النَّمِرِيِّ، وَيَعْرِفُ بِالرُّومِيِّ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ فِي الرُّومِ مُدَّةً، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، سُبِيَ مِنْ قَرْيَةِ نَيْنَوَى فِي الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَبَ إِلَى مَكَّةَ، فَاشْتَرَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، وَكَانَ ﷺ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَمِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ الَّذِينَ عَذَّبُوا، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ﷺ فِي لِسَانِهِ عَجْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَتُوفِّيَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ فِي شَوَالٍ، وَقِيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ ﷺ، صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ حَلِيفُ بَنِي تَمِيمٍ بِنِ مَرَّةً.

- وَكَذَلِكَ:

* بِلَالُ بْنُ رَبَاحِ الْحَبَشِيُّ:

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَذَنَ لَهُ، وَكَانَ ﷺ مِمَّنْ عَذَّبَ فِي اللَّهِ ﷺ، وَشَهَدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَمَاتَ فِي دِمَشْقَ، وَذَلِكَ سَنَةَ عِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

* مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ:

مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرِ الْبَدْرِيِّ الْقُرَشِيُّ، كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِ الْأَرْفَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْفَمِ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمَّهِ وَقَوْمِهِ، فَعَلِمَهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؛ فَأَعْلَمَ أَهْلَهُ فَأَوْتَقَوْهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ هَرَبَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَشَهِدَ مُصْعَبُ بَدْرًا، ثُمَّ أُحْدَا، وَاسْتَشْهِدَ بِأَحَدٍ، قَتَلَهُ ابْنُ قَيْمَةَ اللَّيْثِيُّ -لَعَنَهُ اللَّهُ-، وَكَانَ عُمَرُ مُصْعَبٍ عِنْدَمَا قُتِلَ وَاسْتَشْهِدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا.

* عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ:

عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ أَبُو نُجَيْحِ السَّلَمِيِّ الْبَجَلِيُّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ قُدُومُهُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ مُضِيِّ بَدْرٍ، وَأَحَدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَنَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالشَّامِ.

قَالَ الْحَافِظُ: «أَظُنُّهُ مَاتَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ لَهُ ذِكْرًا فِي الْفِتْنَةِ، وَلَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)».

أَسْلَمَ هُوَ لِأَسْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَمِعُ بِهِمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الدِّينِ مُسْتَخْفِيًا؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ مَا تَزَالُ فَرْدِيَّةً وَسِرِّيَّةً، وَكَانَ الْوَحْيُ قَدْ تَتَابَعَ وَحَمِي بَعْدَ نَزُولِ أَوَائِلِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، وَكَانَتْ الْآيَاتُ وَقَطَعَ السُّورِ الَّتِي تَنْزَلُ فِي ذَلِكَ

الزَّمانِ آياتٍ قَصِيرَةً، ذاتَ فَوَاصِلَ رَائِعَةٍ مَنِيعَةٍ، وَإِقَاعَاتٍ هَادِئَةٍ خَلَابَةٍ تَنَاسَقُ
مَعَ ذَلِكَ الْجَوِّ الرَّفِيقِ، تَشْتَمِلُ عَلَى تَحْسِينِ تَرْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَقْبِيحِ تَلَوِيثِهَا
بِالشَّهَوَاتِ، تَصِفُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَأَنَّهَا رَأَى عَيْنٍ، تَسِيرُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي جَوْ آخَرَ
سِوَى الَّذِي فِيهِ الْمُجْتَمَعُ الْبَشَرِيُّ آنَذَاكَ.

* وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ:

أَبُوذَرِّ الْغِفَارِيُّ، وَأَخُوهُ أَنَيْسٌ، وَأُمُّهُ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ مَبْسُوطَةٌ فِي «صَحِيحِ
الْبُخَارِيِّ»، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّهُ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى فَشَا
الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ، وَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَكَانَ الْأَرْقَمُ رضي الله عنه مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَكَانَتْ دَارُهُ مُتَدَلَّى يَجْتَمِعُ فِيهِ
الْمُسْلِمُونَ، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ سِرًّا، وَيُلْقِنُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَأُصُولَهُ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ
بِالتَّرْبِيَةِ، حَتَّى كَوَّنَ مِنْهُمْ أَناسًا يَسْتَهِينُونَ بِكُلِّ الْأَلَامِ وَالْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ
وَعَقِيدَتِهِمْ، وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ مُسْتَخْفِيًّا خَشِيَةَ أَنْ يَنَالَهُ
أَذَى قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ عِنْدَ الصَّفَا.

وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ - دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي
الْأَرْقَمِ - حَتَّى أَسْلَمَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَاسْتَعْلَنُوا بِعِبَادَتِهِمْ وَرَاعَمُوا
أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَذَلُّوهُمْ، وَقَدْ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ الْأَرْقَمَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ؛ وَلَعَلَّ هَذَا
مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى مَا أَدَّتْهُ دَارُهُ بِمَكَّةَ مِنْ خِدْمَةٍ جَلِيلَةٍ لِلْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ.

فَلِلَّهِ هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي فَاقَتْ أَعْظَمَ مَدَارِسِ الْعَالَمِ، وَجَامِعَاتِ الدُّنْيَا،
وَخَرَّجَتْ أَعْظَمَ رِجَالٍ عَرَفَهُمُ التَّارِيخُ، وَمَا تَرَأَى هَذِهِ الدَّارُ مَفْخَرَةً خَالِدَةً
لِلْأَرْقَمِ، وَشَدَى يَتَضَوُّعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ عَرَضَ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُ
الْمُسْلِمِينَ حَوَالِي ثَمَانِيَّةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا - أَنْ يَظْهَرُوا وَيَسْتَعْلِنُوا، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا
بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ»، وَلَمْ يَزَلِ الصَّدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي
النَّاسِ خَطِيبًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى
رَسُولِ اللَّهِ، وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالْمُسْلِمِينَ، فَضْرِبُوا فِي نَوَاحِي
الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ، وَضُرِبَ ضَرْبًا مُبْرِحًا، وَجَعَلَ عُتْبَةُ بْنُ
رَبِيعَةَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ، وَيَحْرِفُهُمَا لَوَجْهِهِ حَتَّى فَقَدَ وَعْيَهُ، فَحَمَلَهُ بَنُو
تَيْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَقَالُوا: «لَيْنُ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ»، وَجَعَلَ أَبُو
قُحَافَةَ وَالِدُ الصَّدِيقِ وَكَذَا قَوْمُهُ يَكْلُمُونَهُ حَتَّى أَفَاقَ، وَأَجَابَ آخِرَ النَّهَارِ.

فَمَاذَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَفَاقَ؟

لَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَمَسَّوهُ بِالسِّتَةِ وَعَدْلُوهُ، فَلَمَّا
خَلَتْ بِهِ أُمُّهُ قَالَ لَهَا: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ، فَقَالَ:
اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ - وَكَانَتْ تُخْفِي إِسْلَامَهَا -

فذهبت أم أبي بكر إليها وقالت: إن أبا بكر يسألك عن صاحبه محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله!! وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك فعلت، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً، دنيفاً، فدنت منه أم جميل، وصاحت قائلة: والله إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإنني لأرجو أن يتتعم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع؛ قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح! قال أبو بكر: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن الله عليّ ألا أذوق طعاماً، ولا أشرب شراباً، أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل، وقل السائرون في الطريق، وسكن الناس خرجت به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكب عليه رسول الله فقبله، وقبله المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال: بأبي أنت وأمي ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك، فادعها إلى الله، وادع لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ، ودعاها إلى الله، فأسلمت.

في فترة وجيزة وصل عدد الذين سبوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفرًا؛ كما عدّهم ابن هشام، وأكثر من خمسين كما عدّهم اليعمري بن سيّد الناس.

وَبَثَّتْ مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، وَابْنِ سَعْدٍ مُرْسَلًا صَحِيحًا؛ أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ؛ وَذَلِكَ بِدَلِيلِ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «قَدْ رَأَيْتُهُ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، فَأَحْسِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ».

وَقَالَ ﷺ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ أَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ حَسَنِ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ».

وَقَالَ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ الْبَزَّارِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَالْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «لَا تُسْبُوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ».

وَقَالَ: «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ»؛ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبْرَانِيُّ بِرِجَالِ الصَّحِيحِ.

يَتَّضِحُ مِنْ سِجْلِ أَسْمَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ خَيْرَةِ أَقْوَامِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا كَمَا يَذْكُرُ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ وَعَيْرُهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ خَلِيطًا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، وَالْأَرْقَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا اسْتِعَادَةَ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ كَرَامَتِهِمْ.

وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى سِجْلِ الْمُعَذَّبِينَ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا، كَمَا حَدَّثَ فِي هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ؛ فَسَتَجِدُ أَنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ؛ بَلْ كَانُوا مِنْ أَشْرَافِهَا وَمِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْحَسَبِ فِيهَا، وَمَعَ ذَلِكَ هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ؛ وَهَذَا يَدْحُضُ الْفَرِيَةَ الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْلَا بِالرَّسُولِ ﷺ كَانُوا

مِنَ الْفُقَرَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ عَذُّبُوا، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْإِسْتِجَابَةُ ثَوْرَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، أَوْ كَانَتْ مُحَاوَلَةً لِتَعْدِيلِ الْأَوْضَاعِ الَّتِي كَانَتْ مَقْلُوبَةً مِنْ تَمَكُّنِ وَاسْتِحْوَاذِ قَلَّةٍ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ عَلَى الْأَمْوَالِ فَكَانُوا أَهْلَ الثَّرَاءِ، ثُمَّ هُوَ لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ قَامُوا بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَجْلِ إِحْدَاثِ ثَوْرَةٍ كَمَا وَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الثَّوْرَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَمَا أَشْبَهَهُ؛ هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ فِي بَاطِلٍ وَضَلَالٌ فِي ضَلَالٍ.

فَإِنَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا - كَمَا رَأَيْتَ - مِنَ الْأَشْرَافِ، وَالْمُسْتَضْعَفُونَ وَالْفُقَرَاءُ كَانُوا قَلَّةً، وَمَا اشْتَهَرَ مِنْ تَعْدِيْبِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمِنَ الْقَسْوَةِ فِي تَعْدِيْبِهِمْ؛ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ وَضْعِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّ، فَكَانُوا مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَعَذَّبُوا وَنِيلَ مِنْهُمْ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

وَلَكِنْ أَيْضًا عَذَّبَ السَّادَةُ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا وَقَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مَا وَقَعَ مِنْ ضَرْبِهِ بِالنَّعَالِ حَتَّى اخْتَلَطَتْ مَعَالِمُ وَجْهِهِ، وَبَقِيَ مَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ مَطْلَعِ النَّهَارِ حَتَّى جَاءَ الْعِشِيَّةُ، وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ لَهُ؛ عِنْدَمَا قَامَ خَطِيْبًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ هَيِّنًا فِي قُرَيْشٍ - كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ -، وَلَكِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ حَتَّى إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَأَذِنَ لَهُ وَخَرَجَ، وَلَكِنْ لَمْ يُتْرَكْ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْأَشْرَافِ - كَمَا سَيَأْتِي - وَرَدَّهُ، قَالَ: مَا مِثْلَكَ يَهَاجِرُ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَرَدَّهُ وَدَخَلَ فِي جَوَارِهِ، حَتَّى الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا ذَهَبَ يَدْعُو أَهْلَ الطَّائِفِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ إِلَّا فِي جَوَارِ رَجُلٍ مُشْرِكٍ!!

فَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ الذَّرْوَةُ حَسَبًا وَنَسَبًا، وَوَقَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى الْبَدَنِيُّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

فَهَذِهِ الْفِرْيَةُ مِنَ الْفِرْيِ الْمُدْعَاةِ الَّتِي لَا قِيَامَ لَهَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَ التَّمَحِصِ الْعِلْمِيِّ، وَالنَّظَرِ الْمُتَانِي فِي النُّصُوصِ .

فَيَتَّضِحُ مِنْ سِجْلِ أَسْمَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ خَيْرَةِ أَقْوَامِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا كَمَا يَذْكَرُ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ خَلِيطًا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، وَالْأَرِقَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا اسْتِعَادَةَ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ كَرَامَتِهِمْ .

وَالْقَوْلُ السَّدِيدُ فِي هَذَا هُوَ: أَنَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا الْقِسْطَ الْأَكْبَرَ مِنَ التَّعْذِيبِ هُمُ الْأَرِقَاءُ وَالْمَوَالِي، وَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ عَلَى مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ؛ وَلِذَا انْتَشَرَ أَمْرُهُمْ، بَيْنَمَا امْتَنَعَ الْأَخْرُونَ بِأَقْوَامِهِمْ، وَمَنْ عَذَّبَ مِنْهُمْ عَذَّبَ ضِمْنَ قَبِيلَتِهِ؛ وَلِذَا لَمْ يَنْتَشِرْ أَمْرُهُمْ وَلَمْ يَذْكَرُوا كَثِيرًا .

فِي هَذِهِ الْمَعَانِي رُوِيَ عِدَّةٌ أَحَادِيثَ مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةٌ؛ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَارٌ، وَأُمُّهُ سَمِيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ .

وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَالْبَسُوهُمْ
أَذْرَعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ».

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»: «أَنَّ قُرَيْشًا عَدَتْ عَلِيَّ مَنَ أَسْلَمَ، وَوَثَبَتْ
كُلَّ قَبِيلَةٍ عَلِيَّ مَنَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَن دِينِهِمْ».

وَذَكَرَ: «أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مَشَوْا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَسْلَمَ
أَخُوهُ الْوَلِيدُ؛ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي اتِّخَاذِ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ وَسَائِلِ لِصَدِّهِ عَنِ الدِّينِ هُوَ وَمَنْ
أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْ فِتْيَةِ بَنِي مَخْزُومٍ، الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ فَسَمَحَ لَهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ وَحَدَّرَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ -أَي: مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ-».

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ فِي قِصَّةِ هِجْرَةِ عُمَرَ وَقِصَّةِ عِيَّاشٍ مَعَهُ: «أَنَّ
قُرَيْشًا مَنَعَتْ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ مِنَ الْهِجْرَةِ مَعَ عُمَرَ وَعِيَّاشٍ
وَفَتَنَتْهُ فَافْتِنَ، وَاحْتَالُوا عَلَى عِيَّاشٍ فَرَدُّوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُقَيَّدًا».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ يُوثِقُ سَعِيدَ بْنَ
زَيْدٍ، ابْنَ عَمِّهِ -وَهُوَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَكَانَ زَوْجَ أُخْتِهِ- وَيُكْرِهُهُ لِيَرْجِعَ
عَنِ الْإِسْلَامِ».

وَلَمْ يَسْتَطِعِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ لَهُمْ شَيْئًا، حَتَّىٰ عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ
لَمْ يَمْلِكْ لَهُوْلَاءَ غَيْرَ الدُّعَاءِ؛ حَيْثُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ،
وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ
وَطَأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُونُسَ»؛ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» مَعْنَى كَلِمَتَيْ: «الزُّعْفَاءِ» وَ«الشُّرَفَاءِ»
- هَذَا التَّوْضِيحُ مِنْ ابْنِ حَجَرٍ مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ يُصَحِّحُ كَثِيرًا مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْمَعْلُوطَةِ
عِنْدَ النَّظَرِ فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِ.

مَنْ هُمُ الزُّعْفَاءُ وَمَنْ هُمُ الشُّرَفَاءُ؟

وَضَحَّ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْنَى كَلِمَتَيْ: «الزُّعْفَاءِ» وَ«الشُّرَفَاءِ» اللَّتَيْنِ وَرَدَتَا
فِي حَدِيثِ هِرْقَلٍ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ: «فَمَعْنَى الْأَوْلَى عِنْدَهُ: أَنْ أَتْبَعَ الرَّسُلَ فِي
الْغَالِبِ أَهْلُ الْإِسْتِكَانَةِ لَا أَهْلُ الْإِسْتِكْبَارِ الَّذِينَ أَصْرُّوا عَلَى الشَّقَاقِ بَغْيًا
وَحَسَدًا؛ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَتْبَاعِهِ.

وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ: أَنَّ الشَّرْفَ يُقْصَدُ بِهِ مَا يُرَادُفُ التَّكَبُّرَ.

وَهَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ فِي ضَوْئِهِ مَا يَرِدُ مِنْ عِبَارَاتٍ تَتَعَلَّقُ
بِالشُّرَفَاءِ أَوْ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ. هَذَا مَا يُلْحَظُ أَنَّ مِنْ مَجْمُوعِ السَّبْعَةِ وَالسِّتِينَ الَّذِينَ
سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ فَقَطْ مِمَّنْ هُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِي
وَالْأَرْقَاءِ وَالْأَخْلَاطِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَعَاجِمِ - عِنْدَنَا سَبْعَةٌ وَسِتُونَ مِنْهُمْ فَقَطْ ثَلَاثَةٌ
عَشْرَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِي وَالْأَرْقَاءِ وَالْأَخْلَاطِ مِنْ مُخْتَلَفِ
الْأَعَاجِمِ؛ - فَهُمْ إِذَنْ الْخُمُسُ مِنَ الْمَجْمُوعِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يُقَالُ عَنْهُ: أَكْثَرُهُمْ
وَلَا مُعْظَمُهُمْ وَلَا عَامَّتُهُمْ». فَهَذَا التَّصْحِيحُ مُهِمٌّ.

إِنَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُنْ يَدْفَعُهُمْ دَافِعٌ دُنْيَوِيٌّ؛ وَإِنَّمَا هُوَ إِيمَانُهُمْ
بِالْحَقِّ الَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صُدُورَهُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ نُصْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ، يَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ

الشَّريْفُ وَالرَّقِيقُ، وَالغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَيَتَسَاوَى فِي هَذَا أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، وَعُثْمَانُ وَصُهَيْبٌ رضي الله عنهم.

نَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نُنْفِي وَجُودَ الضُّعَفَاءِ وَالْأَرْقَاءِ، وَلَكِنْ نُرِيدُ أَنْ نُنْفِي أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْعَالِيَّةَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُخَالَفٌ لِلْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَكَانَتْ دَعْوَةٌ طَبَقِيَّةً، يَقُومُ فِيهَا الضُّعَفَاءُ وَالْأَرْقَاءُ ضِدَّ الْأَقْوِيَاءِ وَأَصْحَابِ السُّلْطَةِ وَالنُّفُوزِ، كَكُلِّ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تُقَادُ مِنْ خِلَالِ الْمَعْدَاتِ وَالْبُطُونِ، إِنَّ هَذَا لَمْ يَدْرُ بِخَلْدِ أَيِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ، إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الدِّينِ عَلَى اعْتِبَارِهِمْ إِخْوَةٌ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، عِبَادًا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَمَنِ الْقُوَّةَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ يَكُونَ غَالِيَّةً أَتْبَاعِهَا - فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى بِالذَّاتِ - مِنْ كِرَامِ أَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ آثَرُوا فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ أَنْ يَتَحَمَّلُوا أَصْنَافًا مِنَ الْهُوَانِ مَا سَبَقَ لَهُمْ أَنْ عَانُوهَا أَوْ فَكَّرُوا بِهَا.

فَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْكِبْرَاءِ وَالسَّادَةِ، وَمِنَ الْأُرُومَةِ الَّتِي كَانَ يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ، فَمَا كَانَ يَدُورُ بِخَلْدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ سَيَهَانُ هَذِهِ الْإِهَانَةَ؛ فَيُضْرَبُ، وَقَدْ يَعْدَبُ، ثُمَّ يُضْطَرُّ إِلَى الْهَجْرَةِ تَارِكًا بَلَدَهُ، وَقَوْمَهُ، وَعَشِيرَتَهُ، وَدَارَهُ، وَأَهْلَهُ، وَمَالَهُ فِرَارًا بِدِينِهِ مِنْ فِتْنَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ.

لَقَدْ كَانَ الْإِسْلَامُ يَنْسَابُ إِلَى النُّفُوسِ الطَّيِّبَةِ، وَالْعُقُولِ النَّبِيَّةِ، وَالْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي هَيَّأَهَا اللَّهُ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَقَدْ كَانَ فِي الْأَوَائِلِ: خَدِيجَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ،

وَعَلِيٍّ، وَعُثْمَانُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَطَلْحَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبُو سَلَمَةَ،
 وَالْأَرْقَمُ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَجَعْفَرُ،
 وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ
 عُتْبَةَ، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْقَوْمِ وَأَشْرَافِهِمْ، هَؤُلَاءِ هُمْ السَّابِقُونَ
 الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ سَارَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.



الأمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ

كَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ: الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ. هَذَا ضَعِيفٌ.

وَلَكِنْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَائِمُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَنِيَّ، آيْتِنِي بِوُضُوءٍ»، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «وَهَذَا الْحَدِيثُ يَصْلُحُ عَلَيَّ مَنْ أَنْكَرَ وَجُودَ الْوُضُوءِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، لَا عَلَيَّ مَنْ أَنْكَرَ وَجُوبَهُ حِينَئِذٍ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]: «كَانَتْ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ ثِنْتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ، وَقِيَامَ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا، ثُمَّ نَسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وَجُوبَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]: «هِيَ صَلَاةٌ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ رَكَعَتَانِ غُدُوَّةً، وَرَكَعَتَانِ عَشِيَّةً، فَيَكُونُ هَذَا مِمَّا نُسِخَ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قِطْعًا، وَكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُهُ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ هَلْ افْتُرِضَ قَبْلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَمْ لَا؟ فَيَصِحُّ عَلَيَّ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْفُرْضَ أَوْلًا كَانَ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]». فَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ.

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّزَامِ الْحَيْطَةِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّخْفِي، وَعَدَمِ الْإِعْلَانِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللهُ أَمْرَهُ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ خَرَجُوا إِلَى الشَّعَابِ، فَاسْتَخَفُّوا فِيهَا بِصَلَاتِهِمْ عَنِ أَنْظَارِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ بَقُوا عَلَى ذَلِكَ طِيلَةً مُدَّةَ الدَّعْوَةِ السَّرِيَّةِ.

وَبَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شَعْبٍ مِنْ شَعَابِ مَكَّةَ، إِذَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَاسْتَنْكَرُوا عَمَلَهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ، فَلَمْ يَتْرُكْهُمْ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، وَأَضْطَرَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَحَدَ الْمُشْرِكِينَ بِلُحْيٍ بَعِيرٍ فَشَجَّهُ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ دَمٍ أَهْرَبِقَ فِي الْإِسْلَامِ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ:
«إِنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَهْرَاقَ دَمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ».

هَذَا الْحَادِثُ - مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِلَالَ صَلَاتِهِمْ فِي الشُّعَابِ -
حَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نُصْحِ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّخْفِي، وَالتَّزَامِ الْبُيُوتِ مُدَّةً مِنَ
الزَّمَنِ حَتَّى تَسْتَقَرَّ الْأَحْوَالُ، خَاصَّةً أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يُوَاجِهُونَ
بِهِ قُرَيْشًا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيِّ
عَلَى الصَّفَا، وَكَانَتْ بِمَعْرَلٍ عَنْ أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ وَمَجَالِسِهِمْ، فَاتَّخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاجْتِمَاعِهِ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ الْإِزْشَادِ
وَالتَّعْلِيمِ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ حَتَّى كَوَّنَ ﷺ مِنْهُمْ أُنَاسًا يَسْتَهِينُونَ بِكُلِّ الْأَلَامِ
وَالْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ
مُسْتَخْفِيًّا؛ خَشِيَةَ أَنْ يَنَالَهُ أَدَى مِنْ قُرَيْشٍ. مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي دَارِ
الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ إِلَى أَنْ صَدَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالدَّعْوَةِ.

مَرَّتْ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ، وَالدَّعْوَةُ لَمْ تَزَلْ سِرِّيَّةً فَرْدِيَّةً، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ
تَكُونَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ عَلَى الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ
وَتَمْكِينِهَا مِنْ مَقَامِهَا، حَتَّى تَنْزَلَ الْوَحْيُ يُكَلِّفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمُعَالَئَتِهِ قَوْمَهُ،
وَمُجَابَهَةَ بَاطِلِهِمْ، وَمُهَاجِمَةَ أَصْنَامِهِمْ جَهَارًا.

بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِعَالَمِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالْجِنُّ كَائِنَاتٌ مُسْتَرَّةٌ عَنْ أَنْظَارِ
الْبَشَرِ فِي الْأَصْلِ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى التَّجَسُّمِ وَالظُّهُورِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ،

فِيدُلُّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ عَلَى أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَخْلَةٍ عَامِدًا إِلَى عُكَاظٍ - وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْجِنِّ وَبَيْنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ فَكَانُوا يَبْحَثُونَ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ عَنِ السَّبَبِ - .

قَدْ مَرَّ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ فِي مَرَّةٍ ثَانِيَةٍ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَقَدْ كَانَتْ بِمَكَّةَ؛ كَانَ بَحْثُهُمْ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ حِيلَ بَيْنَ الْجِنِّ وَبَيْنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ، كَانَ بَحْثُهُمْ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذَهَبَ إِلَى الطَّائِفِ بَعْدُ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ ثَانِيَةٌ، وَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَكَانَ مَجِيئُهُمْ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ - كَمَا مَرَّ - إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ تَعَلُّمِ الْأَحْكَامِ، جَاؤُوا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ الدِّينِ، وَأَنْ يَسْأَلُوا عَنِ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَامْنُوا بِهِ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَاتَّابْنَا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١]، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ، وَلَمْ يَرِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أذنتُهُ بِهِمْ شَجَرَةً، ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ خَبْرُهُمْ، وَقَدْ حَدَّثَتْ رِوَايَةً مُرْسَلَةً عَدَدًا مِنَ الْجِنِّ وَأَنَّهُمْ كَانُوا تِسْعَةً، وَلَمْ تُثَبِّتْ أَنَّهُمْ مِنْ جِنِّ نَصِييينَ.

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ دَعَا الْجِنُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً - وَهُوَ مُعَسِّكِرٌ بِأَصْحَابِهِ خَارِجَ مَكَّةَ -، فَذَهَبَ مَعَهُمْ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، ثُمَّ أَرَى أَصْحَابَهُ ﷺ، أَثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَقَدْ بَيْنَ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُمْ وَقَدْ جِنِّ نَصِييينَ.

كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ أَنْ حَجَبَ الْجِنَّ وَمَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ عَنِ السَّمَاءِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْمَأَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ۝٩﴾ وَأَنَا لَأَنْدَرِي أَشْرًا رِيدَ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ﴾ [الجن: ٨-١٠].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝٣١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٣١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۖ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

رَوَى الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا حَفِظُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوا فَيَكُونُ بَاطِلًا. فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ - وَلَمْ تَكُنْ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ -، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: هَذَا لِأَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبِعَثَ جُنُودَهُ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ - أَيُّ: أَتُوا إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ -، فَقَالَ: هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ».

«انطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عَكَازٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، قَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا شُهُبٌ، فَقَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،

فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟! فَاَنْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفْرُ الَّذِي أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ وَهُوَ بِنَحْلِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاطٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]. أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ قَبِيلَةً مِنَ الْجِنِّ إِلَّا وَلَهُمْ مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ، فَإِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ؛ سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْحَدِيدِ أَلْقَيْتَهَا عَلَى الصَّفَا، قَالَ: فَإِذَا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ خُرُوءًا سَجْدًا، فَلَمْ يَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ حَتَّى يَنْزَلَ، فَإِذَا نَزَلَ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ، قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْرِ الْغَيْبِ، أَوْ مَوْتٍ، أَوْ شَيْءٍ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ تَكَلَّمُوا بِهِ، فَقَالُوا: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَتَسْمَعُهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَنْزِلُونَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ.

فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ دُحِرُوا بِالنُّجُومِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَلِمَ بِهَا ثَقِيفٌ، فَكَانَ ذُووُ الْغَنَمِ مِنْهُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى غَنَمِهِ، فَيَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً، وَذُووُ الْإِبِلِ فَيَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ بَعِيرًا، فَاسْرَعَ النَّاسُ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنْ كَانَتِ النُّجُومُ الَّتِي يَهْتَدُونَ بِهَا وَإِلَّا فَإِنَّهُ لِأَمْرِ حَدِيثٍ - أَوْ لِأَمْرِ حَدَثٍ -، فَانظُرُوا؛

فَإِذَا النُّجُومُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا كَمَا هِيَ - وَالْعَرَبُ كَانُوا يَعْرِفُونَ خَارِطَةَ السَّمَاءِ كَمَا يَعْرِفُ النَّاسُ خَارِطَةَ الْأَرْضِ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى الطَّرِيقِ وَالْمَسَالِكِ؛ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ خَارِطَتَهَا، فَلَمَّا نَظَرُوا عَرَفُوا أَنَّ النُّجُومَ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا كَمَا هِيَ - لَمْ يَزَلْ مِنْهَا شَيْءٌ، فَكَفُوا - يَعْنِي عَنِ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ -، وَصَرَفَ اللَّهُ الْجِنَّ فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا، وَأَنْطَلَقَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا حَدَثٌ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَأَتُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِتُرْبَةٍ، فَأَتَوْهُ بِتُرْبَةٍ - أَي: بِتُرَابٍ - تِهَامَةَ، فَقَالَ: هَا هُنَا الْحَدَثُ». وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ.

وَبَثَّ فِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرَمَى بِنَجْمٍ عَظِيمٍ فَاسْتَنَارَ، قَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلَ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟». قَالَ: كُنَّا نَقُولُ: يُوَلَّدُ عَظِيمٌ، أَوْ يَمُوتُ عَظِيمٌ - قَالَ مَعْمَرٌ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ غُلِّطَتْ حِينَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «فَإِنَّهُ لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ رَبَّنَا - تَبَارَكَ اسْمُهُ - إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِي يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِي يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبْرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، وَيَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُرْمُونَ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَ﴿إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ - لِلَّذِي قَالَ - ﴿الْحَقُّ وَهُوَ أَعْلَى الْكَبِيرِ﴾ [سبأ: ٢٣]، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا: بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ؛ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ، وَفِي لَفْظٍ: وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْرَقُ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجَنِيُّ، فَيَقْرُأُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ»، أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

يَأْتِي بِالْكََلِمَةِ الَّتِي اسْتَرْقَتْ مِنَ الْوَحْيِ وَهِيَ حَقٌّ، فَيُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، النَّاسُ فِي الْجُمْلَةِ يَأْخُذُونَ بِالْأَحْكَامِ الْعَامَّةِ، يُعَمِّمُونَ الْحُكْمَ، وَتَعَمِيمُ الْأَحْكَامِ مِنْ أَكْبَرِ الظُّلْمِ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُنْصِفًا مُتَشَبِّهًا.

يَعْنِي: قَدْ يُوجَدُ قَوْمٌ، وَفِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ فَيَقَاسُ الْمَجْمُوعُ عَلَى هَذَا الْفَرْدِ، وَهَذَا شَائِعٌ بَيْنَ الدُّوَلِ، فَمَثَلًا: لَوْ وُجِدَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ مِنْ جَنْسِيَّةٍ مِنَ الْجَنْسِيَّاتِ فِي دَوْلَةٍ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ يَأْتِي بِأُمُورٍ مُنْكَرَةٍ - يَسْرِقُ، يَفْحَشُ - فَيُعَمَّمُ الْحُكْمُ، فَيَقَالُ: أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا كُلُّهُمْ كَذَلِكَ!!

قَدْ يُوجَدُ مَكَانٌ هُوَ مَبَاءَةٌ لِلْفُسْطِقِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ، فَيَأْتِي مَنْ يُعَمَّمُ الْأَحْكَامَ ظَالِمًا مُتَعَدِّيًا فَيَقُولُ: أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدِ كُلُّهُمْ كَذَلِكَ، هُمْ أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا!! وَيَذْكُرُ الْمَكَانَ الْمَوْبُوءَ الَّذِي تُرْتَكَبُ فِيهِ الْفَوَاحِشُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْبَلَدِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَنْ يَفُوقُ عَدَدَ الصَّالِحِينَ فِي بَلَدِ الْمُتَّهَمِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَظْلِمُونَ بِتَعَمِيمِ الْأَحْكَامِ، هَذَا مِنَ الظُّلْمِ الْفَاحِشِ الْبَيِّنِ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَزَّهُ وَيَتَوَرَّعَ عَنْهُ الْمَرْءُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِجَرِيرَةٍ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَسَبِّبًا فِيهَا بَلَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ وَشَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ.

فَالنَّاسُ كَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى الْكُهَّانِ يَسْأَلُونَهُمْ أَوْ يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ، عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْكُهَّانِ كَلِمَةٌ حَقٌّ اسْتَرْفَهَا شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ - هِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ - يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةٌ كَذِبَةٍ، لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَّا إِلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ الَّتِي هِيَ وَاحِدٌ مِنْ مِائَةٍ مِمَّا كَذَبَهُ، بَلْ هِيَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَيَحْكُمُونَ عَلَى الْمِائَةِ كَذِبَةً بِأَنَّهَا حَقٌّ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ تَكَلَّمَ يَوْمًا بِكَلِمَةٍ حَقٌّ!! وَهِيَ مِنَ الْوَحْيِ الْمُسْتَرْقِ!! فَكَانُوا يَخْدَعُونَ النَّاسَ وَمَا زَالَ النَّاسُ يُخْدَعُونَ، أَيْضًا بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ!!

أَنْتَ خَيْرٌ بِأَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا -مَثَلًا- فِي الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مُسْتَنْصِلًا أَوْ كَانَ مُسْتَأْخِرًا فَإِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: صَفٌّ أَعْوَجُ، وَيَحْكُمُونَ عَلَى الصَّفِّ كُلِّهِ بِأَنَّهُ أَعْوَجُ!! مَعَ أَنَّ الَّذِي هُوَ أَعْوَجُ فِي هَذَا الصَّفِّ وَاحِدٌ فَقَطُّ.

فَلْيَتَّقِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ مُنْتَمٍ إِلَى الْحَقِّ وَدَعْوَةِ الْحَقِّ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِيمَنْ وَرَاءَهُ، لَا فِي نَفْسِهِ فَقَطُّ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يُعَمِّمُونَ الْأَحْكَامَ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ صَادِقًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرِيدُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يُعَمِّمُونَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ خَيْرٍ لَمَا كَانَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا!!

وَهَذَا أَيْضًا يُقَالُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجُمْلَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَظَرَ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَوْا مَا يُعَابُ قَالُوا: لَوْ كَانَ فِي دِينِهِمْ مِنْ خَيْرٍ مَا كَانُوا هَكَذَا.

فَيَنْظُرُونَ -مَثَلًا- إِلَى الْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ الَّتِي يَحْيَا فِيهَا الْمُسْلِمُونَ: طُرُقُهُمْ وَشَوَارِعُهُمْ غَيْرِ نَظِيفَةٍ، أَحْوَالُهُمْ لَيْسَتْ بِمَأْلُوفَةٍ، إِلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّقَدُّمِ الْمَادِيِّ فِي أَسَالِبِ الْعَيْشِ وَالْحَيَاةِ، وَمَا يُعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الدُّوَلِ مِنَ التَّأخُّرِ فِي التَّقْنِيَّةِ وَمَا أَشْبَهَ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْهِ الْكُفَّارُ، فَيَقُولُونَ: هُوَ لَأَيُّ فَاخِرُونَ بَأَيِّ شَيْءٍ؟ لَوْ كَانَ دِينُهُمْ حَقًّا مَا سَبَقْنَاهُمْ، وَمَا تَأَخَّرُوا إِلَّا لِتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ؛ وَيَصِفُونَهُ بِالرَّجْعِيَّةِ تَارَةً، وَيَغْيِرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمُنْفَرَةِ تَارَاتٍ.

فَلْيَتَّقِ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَى الْمُسْلِمُونَ حَتَّى لَا يَكُونُوا صَادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ وَأَنْ يَأْخُذُوا بِالْأَسْبَابِ، وَأَنْ يَكُونُوا حَازِمِينَ
 حَاسِمِينَ حَتَّى يَكُونُوا مُوقِّعِينَ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

يَبْدُو بَعْدَ النَّظَرِ فِي نَوَاحِ شَتَّى مِنَ الْوَقَائِعِ أَنَّ الدَّعْوَةَ - فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ -
 وَإِنْ كَانَتْ سِرِّيَّةً فَرْدِيَّةً لَكِنْ بَلَغَتْ أُنْبَاؤُهَا إِلَى قُرَيْشٍ، بَيِّدَ أَنَّهَا لَمْ تَكْتَرِثْ بِهَا.
 يَعْنِي: لِمَاذَا لَمْ تُحَارِبْ قُرَيْشُ الدَّعْوَةَ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا حَتَّى يَسْهَلَ الْقَضَاءُ
 عَلَيْهَا؟

لَمْ تَكْتَرِثْ قُرَيْشُ بِذَلِكَ، تَرَامَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ إِلَى قُرَيْشٍ فَلَمْ تُعْرِهَا اهْتِمَامًا،
 وَلَعَلَّهَا حَسِبَتْ مُحَمَّدًا أَحَدَ أَوْلِيكَ الدِّيَانِينَ، الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ
 وَحُقُوقِهَا؛ كَمَا صَنَعَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وَقِسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَعَمْرُو بْنُ نُفَيْلٍ
 وَأَشْبَاهُهُمْ، إِلَّا أَنَّهَا تَوَجَّسَتْ خِيْفَةً مِنْ ذُبُوعِ خَبْرِهِ وَامْتِدَادِ أَثْرِهِ، وَأَخَذَتْ تَرْقُبُ
 عَلَى الْأَيَّامِ مَصِيرَهُ وَدَعْوَتَهُ.

مَرَّتْ ثَلَاثُ سِنِينَ وَالدَّعْوَةُ لَمْ تَزَلْ سِرِّيَّةً وَفَرْدِيَّةً، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ تَكُونَتْ
 عُصْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ عَلَى الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَتَمَكِينِهَا مِنْ
 مَقَامِهَا، ثُمَّ تَنْزَلُ الْوَحْيُ يُكَلِّفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمُعَالَئَتِهِ قَوْمَهُ، وَمُجَابَهَةِ بَاطِلِهِمْ،
 وَمُهَاجِمَةِ أَصْنَامِهِمْ.

دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ عَلَى نُورِ وَبَصِيرَةٍ وَمُعَايَنَةٍ، فَأَخَذَهُمْ سُفَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْأَذَى وَالْعُقُوبَةِ، وَصَانَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ وَحَمَاهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيفًا مُطَاعًا فِيهِمْ، نَبِيًّا بَيْنَهُمْ، لَا يَتَجَسَّرُونَ عَلَى مُفَاجَأَتِهِ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لَهُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ طَبَعًا، لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ دِيَانَةً وَعَقِيدَةً؛ يَعْنِي: مَا أَحَبَّهُ لِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنْ كَانَ حُبًّا طَبَعِيًّا، يُحِبُّهُ فَهُوَ ابْنُ أُخِيهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ شَقِيقَهُ، وَقَدْ رَزَقَ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لَكِنْ طَبَعًا لَا دِيَانَةً، كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى خَلَّتِهِمْ، إِلَى أَنْ اللَّهُ قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حُبًّا طَبَعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى خَلَّتِهِمْ، لَمْ يُفَارِقْ دِينَهُمْ وَإِنَّمَا ظَلَّ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، عَلَى دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: إِنَّهُ عَلَى دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ مَحَبَّةً طَبَعِيَّةً لَيْسَتْ بِمَحَبَّةٍ شَرْعِيَّةً.

كَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَا اجْتَرَأُوا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَالسِّتَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ هُوَ نَفْسِهِ، لِأَذْوِهِ وَاعْتَدَوْا عَلَيْهِ، ﴿وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

وَقَدْ قَسَمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَةً - أَي: جُبْنَاءَ - حَتَّى تُوَفِّيَ أَبُو طَالِبٍ». وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»؛ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ».

هَذَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا، لَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، وَلَا يَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

كَانَ نَزُولُ آيَةِ الشُّعْرَاءِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] إِذْ بَانَ لَهُ بِالْجَهْرِ بِالذَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ وَانْتِهَاءِ الْمَرْحَلَةِ السَّرِيَّةِ.



دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا؛ لِيَنْظُرَ مَا هُوَ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

هَذَا مَوْقِفٌ، وَيَقَابِلُهُ مَوْقِفُ أَبُو طَالِبٍ، وَهُمَا مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى دِينِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنْ يَقُولُ أَبُو لَهَبٍ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّصِدِّي وَحْدَهُ مِمَّنْ حَضَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ، يَتَّصِدِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَيُجِبُّهُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَنِيفِ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

[المسد: ١-٢]. الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

ثُمَّ شَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سَاعِدَيْهِ، وَالْقَى النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَخَذَ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى دِينِ رَبِّهِ ﷻ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُضِيعَ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي غَيْرِ
الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

وَلَمْ تَكُنِ الدَّعْوَةُ سَهْلَةً يَسِيرَةً، وَلَمْ يَكُنْ طَرِيقُهَا مُعَبَّدًا، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ
وَاجَهَ مِنَ الصُّعُوبَاتِ وَالْمَشَقَّةِ مَا لَا يَتَحَمَّلُهُ غَيْرُهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿إِنَّا
سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الصُّعُوبَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، حَتَّى
إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَدْ وَرِثُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ
أَدْنَى مُوَافَقَةٍ عَلَى تَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ إِلَى التَّدْيِينِ بِالذِّينِ الْجَدِيدِ، بَلْ كَانُوا
يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]،
وَرَعِمَ ذَلِكَ، حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَرَصَ كُلَّهُ، وَبَذَلَ كُلَّ الْجَهْدِ حَتَّى يَخْرُجَ
هُؤُلَاءِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْأَنْامِ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ
الْعِبَادِ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي الْأَسْوَاقِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنِ.

حَتَّى إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا رَأَى مِنْهُ كُلَّ هَذَا الْجَهْدِ، وَكُلَّ هَذَا الْحُزْنِ الَّذِي مَلَأَ
قَلْبَهُ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ الْحُزْنُ؛ لِحَوْفِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، رَأَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ،
فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَلْمِزُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وَأَنْزَلَ: ﴿فَلَعَلَّكَ

بَخِعْ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءِثْرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ [الكهف: ٦]؛ أَي: فَلَعَلَّكَ قَاتِلٌ نَفْسَكَ حُزْنًا وَأَسَفًا وَكَمَدًا لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِكَ وَبِرِسَالَتِكَ، فَلَا تَحْزَنْ كُلَّ هَذَا الْحُزْنِ؛ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

ثُمَّ اسْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ الَّتِي وَاجَهَ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ وَكُبَرَاءَهَا، فَادَّوَّهُ أَشَدَّ إِيدَاءٍ، وَتَعَدَّاهُ هَذَا الْإِيدَاءُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ﷺ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي - ﷺ.

عِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ إِعْلَانِ الدَّعْوَةِ وَالْجَهْرِ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢٢٠].

فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِيلَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ، وَدَعَاهُمْ عَلَانِيَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِإِنْقَاذِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنِ نَفْسِهِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٧﴾ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

بَدَأَ الْجَهْرُ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَدَأَتْ صَفْحَةٌ مِنَ الْعِنَادِ الْمَجْنُونِ، وَمِنَ التَّعْذِيبِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، حَتَّى مَكَنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِدِينِهِ وَأَعْلَى شَأْنِ أَوْلِيَائِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



جامع من هج النبوة